

# الكل أنكليزية (فرنسا):

ترجمة :

د. محمد العربي ولد خليفة (جامعي)



## 1- تقديم :

صدر هذا الرثاء لحال اللغة الفرنسية في معقلها الأول - فرنسا في شهرية العالم الدبلوماسي بتاريخ ديسمبر 2010 تحت عنوان "اجتياح الكل أنكليزي: النخب تضحى باللغة الفرنسية" بقلم غاستون بيلي (G. Pellet)، وفيه الكثير من التنديد بما تعانيه الفرنسية من تهجين واحتقار النخب والمسؤولين الرسميين.

ننقل إلى العربية هذا "النداء الاستغاثة" لإنقاذ الفرنسية وهي تتقهقر في عقر دارها بدون تعليق ونأمل أن تنشر إحدى الصحف الصادرة بالفرنسية في بلادنا المقال بنصه الأصلي حتى لا يتعجب البعض ولا يستنكر البعض الآخر وجود جمعيات في الجزائر والمنطقة العربية تدعو لحماية اللغة العربية من "الكل فرنسية" "وهناك في المشرق من الكل أنجليزية"، (في الهامش رقم 9- عينة من تلك الجمعيات والهيئات في فرنسا).

لا تحمل هذه السطور والترجمة التي تليها أي دافع للتحريض ضد الفرنسية أو استصغار أية لغة أخرى، فمن حق أية أمة الاعتزاز بلسانها وثقافتها، فلماذا نكون نحن الاستثناء من هذا الحق المشروع؟ !

يعرف الكثير من أهل الرأي موقعنا على خريطة القوة الدوليّة والسلطة المعرفية والتكنولوجية في عالم مترابط (interdépendant)، وهم على وعي بأننا

في حاجة إلى تلك اللغات والثقافات وحمولتها العلمية والإبداعية، كما كانت هي في حاجة إلى ما حملته العربية من علوم وفنون في عهود سابقة.

وأيا كان وضع العربية في البلاد التي ترسمها في دساتيرها، فإنه ليس من صالح الجزائر أن تكون ساحة مفتوحة للصراعات الثقافية لصالح الأباطورية الفرنسية الأقل، ومنافستها الأكبر المصابة بـهرم الشيخوخة، وخليفتهما الأمريكية التي ينخرها جبروتها الظالم مثل روما البائدة.

مصلحة الجزائر في تثمين مؤهلاتها التاريخية والراهنة وتعبئة الموارد والكفاءات لبناء قوتها الذاتية غير التابعة، والمشاركة الفاعلة في شؤون العالم والوقوف إلى جانب بني الإنسان المكافحين لتحقيق الحرية والعدل والتقدم وفاء لتضحيات كل الأجيال من أبنائها وأهداف ثورتها الشعبية المبشرة بآفاق واعدة.

إن العربية في الجزائر ليست مسألة إيديولوجية أو منصة سياسية لحزب أو مذهب أو طائفة عرقية، إنها من ضمانات التجانس المجتمعي ومن دعائم الوحدة الوطنية أساس قوة الجزائر الأول الذي يعزّزه البعد الأمازيغي وتراثه المشترك.

## 2- النص :

واجه المفكرون والأدباء والعلماء منذ بدء العلاقات بين الشعوب معضلة اللغة وقد تبني الأوروبيون اللاتينية، وهي لغة قديمة ومعقدة، ولكنها كفيفة بالتعبير عن التفكير الدقيق، وقد بقي تداولها مقتصرًا على النخبة وحدها.

أما الفرنسية التي كان استعمالها محصورًا في أوساط الأئمة الأرستوقراطية، فقد تمّ فرضها في أواخر القرن التاسع عشر باعتبارها لغة كولونيالية على حساب اللغات ولهجاتها المحلية التي "أضمحل الكثير منها وما بقي منها في طريقه إلى الأندثار.

إنها لمفارقة تاريخية أن تتعرض الفرنسية بدورها لنفس المصير الذي عرفته اللاتينية واللغات المحلية، إن زحف ما أصبح يسمى الكل انكليزية ظاهر للعيان ويدعو للتساؤل<sup>1</sup>، في

الوقت الذي لا تبدي فيه الأكاديمية الفرنسية أي "أنزعاج، فموقعها الإلكتروني يقول: إنه من المبالغة الزعم بأن الفرنسية تتعرض لاحتياح من الكلمات الانكليزية، فاستعارة مفردات من الانكليزية في رأي مجمع الخالدين ظاهرة قديمة وتعود إلى ما قبل القرن الثامن عشر، بل يرى بعض أعضاء الأكاديمية أنها تساعد على حيوية اللغة، وهم يعترفون مع ذلك بأن وتيرتها تزايدت في الخمسين سنة الأخيرة.

أشار الأكاديمي كلود هاجيج (C. Hagege)<sup>2</sup> المختص في علوم اللغة في فصل خصّصه للغات المهدة بالزوال إلى أن الفرنسية هي من بين اللغات التي في طريقها إلى التلاشي، وحدّد في قاموسه "أحباب اللغات" سببين هما مصدر التهديد: أولهما خارجي، وهو الهيمنة الاقتصادية الأمريكية، وثانيهما داخلي يعود إلى النخب والمتقنين وعالم التجارة الذين لا يقدّرون بحق الخطر المحدق بالفرنسية ويتنبأ هاجيج بأن فرنسا مقبلة على "استبدال لغتها بأخرى"<sup>3</sup>

لقد تزايدت الاستهانة باللغة الفرنسية ووصلت إلى قمة الدولة، فقد حصلت وزيرة الاقتصاد كرستين لاغار (Ch. lagarde) على زريبة الانكليزية سنة 2007 مكافأة لها وعرفانا لأعتمادها الانكليزية في مصالحها الوزارية وحازت وراء المانش على لقب كرستين الحارسة (Christine the Guard)، كما نالت وزيرة التعليم العالي والبحث العلمي ف.بيكريس (v. pecresse) على جائزة الدفاع عن الانكليزية، فقد أعلنت أن اللغة الفرنسية في طريقها إلى الانطفاء، وشجعت على كسر طابو الخوف من الانكليزية في المؤسسات الأوروبية وفي الجامعات الفرنسية.

وقد أنضمت الصحافة الفرنسية إلى هذه الدعوة للتخلي عن الفرنسية فقد كتب مدير تحرير أسبوعية الاكسبرس في 2008/06/13<sup>4</sup> بأن أوروبا تتوفر على أداة اتصال مشتركة هي الانكليزية، ومن الممكن تسهيل هذه العملية بوضع عزتنا التي تجاوزها الزمن في جيوبنا وفرقها منديل الأنف.

أثرت هذه الآراء والمواقف ربما عن غير قصد على أولئك الذين يميزون بين الانكليزية كواحدة من اللغات، وما يسمى اللغة الانكليزية الشاملة (Globish) المفيدة جدا في المبادلات التجارية، وهي في نظرهم لا تمثل أي تهديد للغة فولتير، لأنها ليست لغة فهي مجرد نظام (code) للاتصالات، الحقيقة أن ذلك النظام الذي يراه البعض طبيعيا هو في الحقيقة ثقافي، فقد انتشر استعمال الانكليزية - وأغلب الفرنسيين يستعملونها بطريقة سيئة فيما بينهم وحتى مع غير الناطقين بالانكليزية.

هل أن اللغة الفرنسية في طريقها لأن تفقد مكانها في بلدها الأصلي وتصبح لغة ثانية؟ هل أن تلك المخاوف مجرد أوهاام؟ الجواب بالنفي إن الخطر محقق بالفعل، نجد تعبيرا عنه في المشهد التالي: فقد قالت مقدمة الأخبار في القناة الإخبارية (France info) في 2010-01-31 وهي لا تخفي "أبتهاجها وهي تعرف بضيفها رئيس إحدى شركات المعلوماتية الأمريكية العملاقة وهي تتحدث بالانكليزية، ثم قالت إننا جميعا ثنائي اللغة، فلا حاجة للترجمة إلى الفرنسية !

ليس كل ما سبق ظواهر معزولة، إنها مصحوبة بإجراءات عملية ضد اللغة الفرنسية، فهناك نية لتعليم الأنكليزية في مدارس الحضانة بهدف الاستئناس بتلك اللغة والتحضير لتعليمها في المرحلة الابتدائية، وهي إجبارية في المرحلة الإعدادية أو المتوسطة، وهي على أي حال تدرس منذ خمسة عشرة عاما في صفوف الابتدائي (CEI) ويتواصل تعليمها في أقسام الإعدادي (cm1 cm2).

تشير التقارير التربوية المتتالية إلى ضعف التلاميذ في مادة اللغة الفرنسية، ولا أحد يفكر في معالجة هذا الضعف العام، بل تفكر الحكومة في تدريس بعض المواد باللغة الانكليزية وحدها في الثانويات الفرنسية.

## 2-1- الانكليزية تحتاج الاقتصاد والإدارة:

أما في الجامعات فقد تركز هذا التحول منذ زمن بعيد كما هو الحال في المدارس العليا للتجارة في انتهاك صارخ لقانون طوبون (la loi toubon)<sup>5</sup> الصادر سنة 1994، وقد طالب بتعديله كل من رئيس مؤتمر المدارس العليا ومدير المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية والتجارية، ومديرو مدارس الهندسة، وكذلك مجمع رؤساء الجامعات الفرنسية، وبادر معهد العلوم السياسية (sciences po) الجديد في مدينة ريمز (Reims) بإصدار قرار يقضي بتدريس كل المواد بالانكليزية.

هناك مؤسسات تشهر لنفسها في فرنسا ولكن بالانكليزية مثل المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية وعنوانه الرسمي هو (the french institute of international relations) ومعهد آخر للعلوم الاقتصادية في باريس طبق الأصل من نظيره في لندن أسمه (Paris school of ecomics)، وفي التسيير اليومي للتعليم الجامعي نجد المراسلة التالية الموجهة للأساتذة وكلهم من الفرنسيين في جامعة باريس "الزملاء الأعزاء نحن بصدد وضع اللمسات الأخيرة لمقترحاتنا لإنشاء شبكة كوست لتوحيد العملة الأوروبية منذ القديم إلى الوقت الراهن" (ونحن نورد في هذه الترجمة نصها كما وردت بلغة شكسبير، وهنا يُذكر صاحب النص بحادثة فاشودا التي انهزم فيها الجيش الفرنسي في السودان سنة 1898)<sup>6</sup>.

(chers collègues nous sommes en train de finir la full proposal... de la création de réseau Cost european monetary unification from antiquity to modern times.)

كما أصبح مطلوبا من الباحثين نشر أعمالهم العلمية باللغة الانكليزية إذا رغبوا في وصول أبحاثهم إلى أهل الاختصاص والقراء المهتمين، وقد أقرّ بروتوكول لندن الصادر سنة 2000 والمؤيد من جماعة رجال الأعمال الأوروبيين جعل الانكليزية لغة رسمية في المبادلات الدولية والأعمال وفي المنظمة الأوروبية لأ اعتماد براءات الاختراع.

”اقتحمت الانكليزية كذلك الحياة اليومية للفرنسيين حيث تعلو مفرداتها وتراكيبها المركبات التجارية الكبرى فقد ”انقسم “كارفور” الشهير إلى سوق كارفور (carfour market) ومدينة التخفيض (city discount) وخرجت من مثيله أوشون سوق أخرى تسمى (simply market) وحدث نفس الزحف على قطاع الصناعة، فسيارات رونو الثقيلة أصبحت تسمى (Trucks) وفرعها المختص في التوزيع أطلق عليها (Retail group) والجلسات التنظيمية الداخلية تتم بالإنكليزية، ويقال لها (Briefings)، وشملت موجة الإنكليزية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، مما دفع النقابات إلى المطالبة بحق العمل بالفرنسية في فرنسا، كما انتشرت في البقالات والمتاجر الصغيرة مسميات مثل (city plants) و(cash converters) و(urbon souvenirs) وأخرى من نوع (New shops) و(Land city) و(Center).

قد يظن البعض أن العدوى لم تصل إلى المصالح العمومية، أو على الأصح إلى ما بقي منها، الواقع غير ذلك، فقد أصدرت إدارة البريد إعلانا يقول (I Love L. A) للأشهار لدفترها للإدخار (أ) واقتُرحت إدارة السكك الحديدية العمومية تذكرة مخفضة تحمل الكلمات التالية (TGV - Family)، واختارت شركة فرنسا للاتصالات الكلمات التالية (Time to move) حان الوقت، في هذا الطوفان لا يعرف أطفال مدارسنا أن مفردات مثل (Electronic) و(optical) و(Drive) ليست من اللغة الفرنسية، وقريبا جدا سنشهد أن كل المساحات المخصصة للألعاب تحمل عبارة (Game space).

يشرف الاتحاد الأوروبي على حراك اللغات داخله ومن بين 23 لغة رسمية في بلدانها اعتبر النظام الداخلي للاتحاد لسنة 1958 الانكليزية والفرنسية والألمانية لغات عمل، ولكن نشهد منذ حوالي اثني عشرة سنة تراجعاً لكل من الفرنسية والألمانية، ولم تعد مصالح اللجنة الأوروبية للإحصاء (EUROSTAT) تنشر موحزها بلغة أخرى غير الانكليزية، وقد لاحظ

جورج باركر (G.parker)<sup>7</sup> الصحفي في جريدة فايننشيل تايمز ماييلي: لدينا أكثر فأكثر أحساس ونحن في بروكسل، أننا نعيش في إحدى مقاطعات المملكة المتحدة (بريطانيا).

وقد قدم أحد الأساتذة محاضرة بالانكليزية طبعاً، موضوعها: التسيير الملائم للاتصال في أوروبا: الاتحاد الأوروبي وتحدي الاتصال، دافع فيها عن حظوظ أحادي اللغة (انكليزية) ولم يحدث أي ردّ داخل اللجنة الأوروبية على هذه الأحادية المتغطرة.

لقد تساءلت السيدة أنا كامبرغادي من الذي يستطيع فعل أي شئ ضد هذه الحملة غير المفهومة والمذلة للغة الفرنسية على يد الفرنسيين أنفسهم، يجب أحد زملائها مؤكداً إن الفرنسيين لا يهينون لغتهم، إن الأوروبيين هم الذين يهينون أنفسهم، بالتفريط في لغاتهم وأموالهم ومناطق نفوذهم لصالح الأمريكيين<sup>8</sup>.

تحدث هذه المشاهد في الوقت الذي تدور فيه مناقشات مشبوهة حول الهوية الوطنية، بينما يرى الكثير من الفرنسيين أن عنصرها الأساسي الجدير بالاهتمام هو اللغة.

## 2-2- خلاصة :

يرتبط الرهان على اللغة الانكليزية مباشرة بالسوق والأعمال، إن أباطرة الصناعة والتجارة الدولية في حاجة إلى لغة تسهل المبادلات وبالطبع هم يلجؤون إلى اللغة التي تفرضها الأمبريالية في سياق العولمة الرأسمالية.

تؤسس أوروبا المنافسة الحرة وغير المغشوشة على هدف الكل ليبرالي، لتجاوز حدود الأمم ورمزها الأول وهو اللغة، نلاحظ في هذا المجال هجومات حكومية على كل ما لا يساعد على الربحية، لأنه في نظرها مجرد تكاليف أو خسائر، مثل المراكز الثقافية في الخارج لدراسة اللغات الشرقية واللغات القديمة.

نذكر من بين ضحايا هذه السياسة الفئات المستنة والشعبية الذين يطلب منهم التكيف مع الوضع اليومي السائد وهم لا يتوفرون على الوسائل التي تسمح لهم بها إمكانياتهم، ومن



الصعب عليهم قبول ما تتعرض له لغتهم من تشوّه يجعلها تتحول في نظرهم يوماً بعد يوم إلى لغة أجنبية عنهم.

الفرنسية لغة متجذرة في عالم العمّال، وهم يتعبّون لمقاومة لسانية مقترنة بالمقاومة الاجتماعية<sup>9</sup>، وبالإضافة إلى الرهان اللغوي الوطني فإن كل اللغات في العالم معرضة للتحلل لصالح هذا المركب الهجين المسمى الأنكليزية الأمريكية.



- <sup>1</sup>- "lire la bataille des langues", manière de voir n 97, février –mars 2008.
- <sup>2</sup>- claude Hagège, "le model 101", 3 décembre 2009, [www.voir](http://www.voir.ca) ca.
- <sup>3</sup>- ce "prix d'indignité civique" est décerné annuellement à un membre des élites française qui s'est particulièrement distingué par son acharnement à promouvoir la domination de l'anglo-américain en France et dans les institutions européennes au détriment de la langue française.
- <sup>4</sup>- - cité par l'Académie de la Carpette anglaise 2008, c/o le droit de comprendre, 34, bis, rue de picpus, 75012 paris.
- <sup>5</sup>- Loi du 4 aout 1994, [www.gouv.fr](http://www.gouv.fr) /culture/ dglf/ lois/ de présentation \_ loi. Htm.
- <sup>6</sup>- en 1898, alors que les puissances européennes se disputent les derniers territoires disponible en Afrique, une expédition militaire française voit surgir une armé anglo-égyptienne de vingt mille homme à Fachoda (soudan). Le rapport de forces obligera les français à céder, mais cette confrontation provoquera une hystérie nationaliste à Londres et à paris.
- <sup>7</sup>- <http://blogs.ft.com/brusselsblog>
- <sup>8</sup>- - lire l'échange sur le site [www. Défense langue francise.org](http://www.DéfenseLangueFrancise.org)
- <sup>9</sup>- un large collectif a été constitué: alliance Champlain, association francophonie avenir (Afrav), association pour la sauvegarde et l'expansion de la langue française (Asselaf), avenir de la langue française (ALF) cercle littéraire des écrivains cheminots (CLEC) collectif unitaire républicain pour la résistance, l'initiative et l'émancipation linguistique (Courriel), défense de la langue française Paris Ile-de-France (DLF Paris –IDF), Forum francophone international France (FFI France), le Droit de comprendre (DDC).

